

فضل يوم الجمعة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يُفَضَّلَ بعض الأزمنة على بعض ، ففُضِّلَ رمضان على سائر الشهور ، وفُضِّلَ ليلة القدر على سائر الليالي ، وفُضِّلَ يوم الجمعة ويوم عرفة على سائر الأيام ، أمّا أيُّ هذين اليومين أفضل من الآخر فللعلماء في ذلك رأيان .

وإذا بحثنا عن أسباب تفضيل يوم الجمعة وجدناها كثيرة ، حسبى أن أذكر منها :

* أن هذا اليوم قد خص الله تعالى به أمة الإسلام ؛ ليكون يوماً للاستجمام من عناء العمل طوال الأسبوع ، ولرفع درجة العبادة والذكر ، وفرصة لدعاء الله تعالى ، وقد صَرَفَ الله عنه جميع الأمم حين أرادت كل منها اختيار يوم كل أسبوع ، ترتاح فيه ، وتزاول فيه بعض شعائرها الدينية ، قال صلى الله عليه وسلم : « يَوْمٌ أَدَّخَرَهُ اللَّهُ لَنَا » ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ » . ومن ثَمَّ كان صلى الله عليه وسلم يكره تخصيصه بصوم سُنة ، إلا إذا صام يوماً قبله أو يوماً بعده ، أو وافق عادة له ، أو كان يوم عَرَفَةَ لغير حاج ، أو يوم عاشوراء .

* أنه تعالى أقسم به دون سائر الأيام ، قال تعالى : ﴿ وَشَهِدَ وَمَشْهُودٍ ﴾ ^(١) قال صلى الله عليه وسلم : « اليوم المشهود يوم عَرَفَةَ ، والشاهد يوم الجمعة » .

* إحياء المسلم شعائر الإسلام فيه يؤدي إلى تكفير سيئاته ، رَوَى سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : هو اليوم الذي جَمَعَ الله فيه أباكم ، قال : « لكنى أدري ما يوم الجمعة ، لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ، ثم يأتي الجمعة فيُنْصِتُ حتى يقضى الإمام الصلاة إلا كان كَفَّارَةً لما بينه وبين الجمعة المقبلة » .

(١) سورة البروج - من الآية : ٣ .

* أن فيه ساعة إجابة لا يوافقها مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه ، جاء فيما رواه ابن ماجه في مسنده أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « ... وفيه ساعة لا يسأل الله العبدُ فيها شيئاً إلا أعطاه ، ما لم يكن حراماً ... » .

* أن فيه شعيرة إسلامية خاصة به ، وهى صلاة الجمعة التى يجب أن تؤدى بدل الظهر فى المسجد فى جماعة ، بعد خطبة يعظ فيها الخطيب المصلين ويذكرهم ويحثهم على طاعة ربهم وتقواه ، والسير على منهاج الإسلام الرشيد .

* أن اجتماع المسلمين فيه بالمساجد مظهر عظيم من مظاهر المساواة فى الإسلام ، حيث يصلى الملك والأمير والرئيس والقائد بجانب عامة الشعب ، ويصلى الغنى بجوار الفقير ، والقوى بجانب الضعيف ، والأبيض بجانب الأسود ، والعربى بجانب الأعجمى ، ويُعدُّ هذا الاجتماع فرصة أسبوعية للقاء المسلمين لقاءً يؤدى إلى التعارف ، ويؤكد روابط المحبة والتآلف ، ويرمز إلى وحدة المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى .

أثر خطبة الجمعة

إن يوم الجمعة لمن أفضل الأيام عند الله تعالى - كما أسلفنا - حيث يجتمع فيه المسلمون في المساجد على الود والبر والتقوى ؛ لسماع خطبة الجمعة ، وأداء صلاتها في جماعة ، وهم بعيدون عن شغل الحياة ولهوها وهمومها ، متجهون إلى الله تعالى وحده بعقول واعية ، وقلوب مطمئنة ، ومشاعر صادقة ، عسى أن يتقبلهم ، فيحفظوا برحمته ، ويفوزوا بمغفرته ورضاه .

ولكى يكون اجتماع الناس في ذلك اليوم مثمراً ، جعل الإسلام خطبة الجمعة الواعظة المذكّرة فريضة وشعيرة من شعائره العظمى ، فوق أنها شرط لانعقاد صلاة الجمعة ؛ إذ لا جمعة بدون خطبة .

ولهذه الخطبة في المجتمع الإسلامى دور خطير ، وأثر جليل : إذ يقوم الخطيب فيها بالدعوة إلى الله ، وتوضيح معالم الإسلام ومنهجه ، ببيان العقيدة الصحيحة ، والشريعة السمحة ، والحث على تقوى الله تعالى ، والتمسك بالأخلاق السامية ، والآداب الفاضلة ، والمثل العليا ، والسلوك القويم ، والتذكير باليوم الآخر وما فيه من بَعْثٍ وحَشَرٍ وحساب ، وجنة ونار ، والتوجيه إلى التعامل الصحيح بين المسلم وربّه ، وبين المسلم ونفسه ، وبين المسلم ومجتمعه ، بل وسائر المجتمعات الإنسانية ، كما يتناول القضايا المعاصرة ، والمشكلات القائمة ، عارضاً ما يترأى له من حلول لها ، حتى يكون المسلمون جديرين بقيادة العالم ، ورفع راية الإسلام خفاقة في كل مكان ؛ لأنهم خير أمة أُخْرِجَت للناس .

ومن ثمَّ يحمل بنا أن نوضح ما يجب توافره في كل من الخطبة والخطيب ، حتى تحقق تلك الخطبة أهدافها المنشودة .

ما يجب توافره في الخطبة

هناك أمور يجب توافرها في الخطبة الجيدة حتى تحقق غايتها ، نذكر منها :

١- أن تجيء الخطبة مستوفية أهم أركانها ، وهى المقدمة ، والعرض ، والخاتمة ، وأن يركز الخطيب اهتمامه في العرض ؛ لأنه صلب الخطبة الذى يحقق الاستمالة والإقناع .

٢- أن يُحسن الخطيب اختيار موضوعها ، بحيث يكون مناسباً للظروف والأحداث الجارية ، والمشكلات القائمة ، كما يكون مناسباً لأحوال السامعين ومستوياتهم العقلية والثقافية ؛ ليتفاعلوا معه ، فيستميلهم ويقتنعهم بما يقول ، ولئلا تكون الخطبة في وادٍ ، والناس بهمومهم واهتماماتهم في وادٍ آخر .

٣- أن يظل موضوع الخطبة كلها واحداً ، بحيث تكون أفكارها كلها مندرجة تحته لاتتخطاه إلى موضوع آخر ؛ لأن الخطبة إن تعددت موضوعاتها أدى ذلك إلى تشتيت ذهن السامع ، وعدم تحقيق هدف الخطيب من الاستمالة والإقناع .

٤- أن تتوافر في أسلوب الخطبة مقومات الأسلوب الجيد :

(أ) فتكون أفكارها صحيحة ، واضحة ، قوية ، متجددة ، محددة ، مرتبة في تألف وتماسك ، مسيرة للموضوع ، مؤيدة بالأدلة العقلية ، والنصوص الشرعية من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وآراء أئمة المسلمين وفقهائهم ومجتهداتهم .

(ب) وتكون ألفاظها منتقاة ، سليمة ، واضحة ، مطابقة لقوانين النحو والصرف ، والبلاغة ، متلائمة مع بعضها البعض ، بعيدة عن الغرابة والابتذال والتكلف ، مناسبة للمقام .

(ج) وتكون عباراتها متسلسلة مترابطة ، متماسكة ، واضحة ، مطابقة لقوانين النحو والصرف والبلاغة .

(د) أما الصور البيانية فَحَسْبُ الخطبة منها ما يساعد على إيضاح الحقائق ، ولا داعي للخيال المحلق الذي يعرقل متابعة الذهن للخطبة، ويُعيق فهمها .

(هـ) أن تكون المشاعر التي تتضمنها الخطبة صادقة ، لاتزيف فيها ولا التواء ولا مبالغة مرفوضة .

(و) أن يتنوع أسلوب الخطبة بين الخبر والإنشاء ؛ ليظل السامعون طوال الخطبة في يقظة وانتباه ، ولئلا ينصرفوا عنها بما يعترضهم من الملل والثاؤب ، بل النوم أحياناً !

٥- أن تتضمن الخطبة قدراً مناسباً من كلام الله تعالى ، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، موضوعاً في مكانه الصحيح ، مَسْئُوقاً للبرهنة والإيضاح والتذكير والاعتبار .

٦- أن تتضمن الخطبة شيئاً من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قدوتنا الحسنة، ومن سيرة الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين وعلمائهم ، بما فيها من مواقف الجهاد ، والتضحية والفداء ، والإيثار والكرم ، والشجاعة ، والعدل ، والإحسان ، والبر ، والرحمة ، والتواضع ، وكل المثل العليا ، والأخلاق والفضائل السامية .

٧- أن تعالج المشكلات والأدواء النفسية والخلقية والاجتماعية في ضوء منهج الإسلام الوارد في الكتاب والسنة .

٨- أن تتضمن الخطبة شيئاً من المقارنات ، لِمَا لها من أثر في توضيح المعاني وتقريرها : فتقارن بين الخير والشر ، مبينة آثار كل منهما ، كما تقارن بين العدل والظلم، موضحة ما يترتب على كل منهما ، وبين السلم والحرب ، معددة آثار ونتائج

كل منهما ، وبين الفضيلة والرذيلة مشيرة إلى هدف كل منهما ، فبضدها تتميز الأشياء ، كما يقولون .

٩ - أن تدفع الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ضده ؛ ليشوهوا صورته ، ويصدوا عن سبيله ، فتبدد هذه الأباطيل ، وتفسد هذه السموم بالحجج والبراهين الواضحة المقنعة .

١٠ - أن تكون الخطبة معتدلة الطول : فلا تكون قصيرة بصورة مخلة ، ولا طويلة بصورة مملة ، ومن ثم يجب الابتعاد عن كثرة الاستطراد والتكرار الذي يجلب الضيق والملل ، ويشق على المريض ، وذى الحاجة ، والمشغول البال بهموم الحياة ، ويعرض المصلين خارج المسجد الضيق إلى الاكتواء بشمس الصيف ، والأذى ببرد الشتاء وأمطاره !

هذا ، ويرى بعض المهتمين بشئون الخطابة أن الخطيب يكفيه ثلث ساعة لأداء خطبته أداءً يحقق الهدف منها ، وأرى أنه لا مانع من زيادة زمن الخطبة ليصل إلى نصف ساعة أو أقل أو أكثر قليلاً ، إن احتاج الموضوع إلى ذلك ، وكان لدى السامعين استعداد يلمسه الخطيب وهو فوق المنبر لتقبل ذلك الطول ، أما أن يطيل الخطيب مستعرضاً قدرته على التطويل ، لدرجة تجعل الناس يتمللملون في جلستهم ، وينصرفون عنه بحديث بعضهم مع بعض ، أو غير ذلك من صور الاحتجاج على التطويل - فهذا ما لا يقبل بأي حال !!

ما يجب توافره في الخطيب

إن ما يجب توافره في الخطيب له شقان:

(أ) ما يجب توافره في الخطيب مطلقاً.

(ب) ما يجب توافره في الخطيب حال الخطبة .

وستحدث عن كل شق منهما :

أولاً : ما يجب توافره في الخطيب مطلقاً

١- أن يكون سليم العقل والنفس ، مستقيم المنطق والتفكير ، طاهر القلب والنية ، شريف العاطفة والمقاصد ، قوى الحجة ، مؤمناً بما يدعو ويرشد إليه ، حتى يجتذب القلوب في يُسرٍ ، ويقنع العقول في قوة ، ويحقق هدفه من خطبته .

٢- أن يكون لديه استعداد فطري للخطابة ، وأن يقويه بالتدرب عليها وممارستها .

٣- أن يكون على درجة عالية من الثقافة في مختلف فروعها : الدينية ، والتاريخية ، والعلمية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والإعلامية .

وعليه فوق ذلك أن يكون مستواه في الثقافة الدينية عالياً: من حفظ للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وفهم لعلومهما ، وإلمام بالفقه وبالعقائد والعبادات والمعاملات وكل نواحي الشريعة ؛ لأن تلك الثقافة هي أغزر منابع التي تمد بالموضوعات والنصوص والأدلة والأحكام ، وتساعده على اقتراح الحلول لحل المشكلات .

وأما الثقافة اللغوية فيجب كذلك أن تكون عالية المستوى : لغةً ، ونحواً ، وصرفاً ، وبلاغةً ، وأدباً ، حتى تجيء الخطبة فصيحة ، تستميل النفوس ، وتسحر الألباب ، وتحقق هدفه من التأثير والاستمالة والإقناع .

كما يجب أن تكون لديه ذخيرة كبيرة من الأشعار القويمة ، والحكم الصائبة ، والأمثال السائرة ، وخطب الفصحاء في شتى الأزمان والأماكن ؛ ليستخدمها في المواقف التي تتطلبها ، ولينسج على منوالها .

٤- أن يكون قدوة حسنة ، محترم المظهر، مُتَحَلِّياً بجميل الفضائل من التقوى ، والوَرَع ، والحياء ، والحِلْم ، والتواضع ، والصبر ، والإخلاص ، والكرم ، والشجاعة، والرحمة ، والعفة ، وعزة النفس ، والتضحية ، والإيثار ، ناشراً علمه ، عاملاً به ، مؤمناً بما يدعو إليه .

٥- أن يعيش في عصره وواقعه ، ويكون مُلمّاً بما يجري فيه من شتى الأحداث والمتغيرات ، وما يكتنفه من قضايا ومشكلات ، حتى يقر المعروف ، ويتدخل لتغيير المنكر ، وإرشاد الناس إلى ما يراه - في ضوء الإسلام - من حلول للمشكلات ، وتوجيههم إلى ما فيه الخير والصالح .

٦- أن يعد خطبته - ولو ذهنياً - مستوفية الأركان من : مقدمة ، وعرض ، وخاتمة ، قبل إلقائها بوقت كافٍ يتيح له فرصة إقرارها بعد ما يراه من تعديل فيها .

٧- أن يكون مقتنعاً بوظيفة الخطيب إن كانت وظيفته الرسمية هي الخطابة ، مقبلاً عليها بكل مشاعره ، مدركاً شرف الخطيب ومكانته ، متطلعاً إلى جزاء الله الأوفى ، وإلا فليتركها لغيره من المقبلين عليها ، المُقَدِّرِينَ لها ، وأُيُورِوْلُ هو من العمل ما يرغب فيه .

ثانياً : ما يجب توافره حال الخطبة

١- من حيث المظهر : أن يعتنى بمظهره وهندامه : فيختار الثياب المألوفة الأشكال والألوان والأطوال ، المريحة للعين ، التي تضيء عليه المهابة والاحترام ، وتجعل السامعين يقبلون عليه ، ويستجيبون لما يدعو إليه ، ولا يشترط في ثيابه أن تكون غالية الثمن ، بل يكفي أن تتحقق فيها هذه المواصفات ، مع نظافتها وكيها .

٢- من حيث الإلقاء : أن يؤدي الخطبة بصوت سليم المخارج ، واضح النبرات ، ممثل للمعانى ، متنوع السرعة ، متنوع الارتفاع ، متجاوب مع مشاعره : فنبرات

الإخبار غير نبرات الاستفهام والطلب ، ونبرات الرضا غير نبرات الغضب والسخط، ونبرات الاستنكار غير نبرات الموافقة والإقرار، ونبرات الدهشة والتعجب والاستغراب غير نبرات ما لا دهشة فيه ولا تعجب ولا استغراب ؛ لأن مراعاة ذلك في الإلقاء تضمن له جذب انتباه السامعين ، وتحمسهم لما يقول ، وإيمانهم به .

٣- **من حيث رباطة الجأش :** أن يظل طوال الخطبة رابط الجأش ، قوى الثقة بنفسه ، لايهاب السامعين مهما علت منازلهم ، وبذلك يتدفق في خطبته في سلاسة وثقة ، دون أن يرتج عليه ، أو يعتريه اضطراب أو ارتباك أو تلثم أو عى .

٤- **من حيث الحركات وتعابير الوجه واليدين :** ينبغى أن يصاحب الإلقاء ما يعين على توضيح المعانى من إشارات باليد أو الأصابع أو الرأس ، ومن تعبيرات بالوجه تكشف عما يريد إظهاره من عواطفه وانفعالاته .

وهذه الإشارات لها أثرها البالغ ، إذ تشرك عين السامع مع أذنه في تصور المعانى وإدراكها .

على أن يقتصد في استخدام هذه الإشارات ؛ لأن الإسراف فيها يفقدها قيمتها ، ويجعل الخطيب كالبهلوان .

٥- **من حيث متابعته لحال السامعين :** يجب على الخطيب مهما انفعل بموضوع الخطبة واستغرق فيها - أن يظل متابعاً حال السامعين ، مُتَّبِعاً إليهم ، حتى يدرك : أهم مُقبلون عليه أم منصرفون عنه ؟ أموافقون على ما يقول أم معارضون له ؟ أمستقرون هادئون أم قَلَقُون متبرمون ؟ أبقاظ هم أم هم رقود ؟

وذلك حتى وكيف نفسه حسب حالتهم ، فيختصر الخطبة إن لمس ضيقهم من التطويل ، وينوّع في السرعة ودرجة الصوت إن رأى في ذلك علاجاً للموقف ، أى يتصرف في كل حالة بما يلائمها ، وإذا جلس بين الخطبتين ونظر في ساعته وعرف أنه أطل الخطبة الأولى دون أن يشعر ، فليقتصر الخطبة الثانية ، أو يقتصر فيها على الدعاء .

٦- من حيث مقدار المقدمة : أن يقتصد في المقدمة ؛ لأنها ليست إلا مدخلا إلى الخطبة ، وإيجاء بموضوعها ، وليس من المقبول أن تطول حتى يظن السامع أنها خطبة مستقلة ، أو أن يلتقى فيها قصيدة طويلة مهما كان معجبا بها ، كما يفعل بعضهم ؛ لأن هذا ليس مقام التطويل ، وحسبه فيه الكلمات القليلة الجامعة .

٧- من حيث الدعاء في آخر الخطبة الثانية : أن يقتصد الخطيب فيه ، وحسبه منه الكلمات الجامعة التي تكون دلالتها عامة وشاملة ، وتغنى عن ذكر كثير من الدعوات التي تندرج تحتها ، ولاداعي لأن يكرر كل دعاء ثلاث مرات قصداً لإطالة الخطبة ، كما يفعل بعض الخطباء الذين يتعمدون إطالة الخاتمة والمقدمة ؛ ليظهروا لمن يدفع لهم أجر الخطبة مدى ما يبذلونه من وقت وجهد في أدائها ، إذ العبرة ليست بطول الوقت وبذل الجهد والعرق ، بل بتحقيق الخطبة هدفها والغاية المرجوة منها .